نموذج للنمو العمراني في مدينة سعودية صغيرة

ـ دراسة لحالة مدينة حريملاء شمال غرب الرياض ـ

● د . صلاح عبدالجابر عيسى ●

مقدمـــة :

ركـزت دراسات نمو المدن السعودية على حالات المدن الكبيرة أساساً أو المتوسطة(*) ، بينما لم تلق المدن الصغيرة اهتماماً يناسب انتشارها الواسع مؤخراً إثر ارتباط قيامها بإنشاء البلديات .

وقد وقع الاختيار على حالة مدينة حريملاء كمدينة صغيرة لدراسة نشأة ونمو العمران بها بهدف التأصيل الجغرافي للمظهر العمراني القائم حالياً من جانب ، ومحاولة استخلاص النموذج الذي سار ويسير عليه النمو العمراني في مدينة سعودية صغيرة وقديمة من جانب آخر . فمن المعلوم أولاً أن الوراء التاريخي للظاهرة العمرانية له تأثير واضح على كل عناصرها التوزيعية والبنائية والوظيفية . ويرتبط فهم وتفسير تلك العناصر بالأبعاد التطورية ، وثانياً فإن المدينة السعودية عموماً شهدت وتشهد في الفترة الأخيرة قفزات تطورية ضخمة بكل المقاييس تواكب في ذلك النهضة الشاملة بالمملكة والتي تخطط لها وتدعمها الدولة ، وتمثل حريملاء نموذجاً لمدينة صغيرة قديمة اجتمع فيها العمران القديم التقليدي ، والعمران الحديث المخطط ، وفيما بين ازدواجية هذين النوعين قامت عملية تحول عمراني بارز له خصائصه ودوافعه ، وربما تلقى دراسة نمط تطور العمران في حريملاء الضوء على الأحوال التطورية للمدن السعودية المماثلة .

ويحسن أن نعالج الموضوع من خلال العناصر التالية :

١ ـ الصورة التوزيعية العامة للعمران الحالي بمدينة حريملاء كآخر ما أسفر عنه النمو العمراني وكمدخل يفيد في استجلاء الصور التطورية السابقة لعمران المدينة .

٢ ـ العوامل المؤثرة على نشأة ونمو العمران بمدينة حريملاء في الماضي والحاضر على وجه الإجمال ثم تتبع آثارها فيما بعد .

٣ ـ مراحل واتجاهات النمو العمراني ، وخصائص كل مرحلة تطورية وهي محور الدراسة .

٤ ـ النموذج العام للنمو والتطور العمراني بمدينة حريملاء وهو بمثابة نتيجة الدراسة . أما مصادر المادة العلمية للدراسة فيمكن تصنيفها كالتالي :

أ ـ الكتابات السابقة : وتشمل :

١ ـ مصادر تاريخية عن نجد وتاريخ دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وجغرافية المملكة السعودية .

٢ ـ الدراسات والبحوث وأهمها ما كتبه صالح الطعيس عن مدينة حريملاء سنة ١٣٩٩ هـ .

٣ ـ تقارير بيوت الخبرة عن حريملاء وأهمها تقرير دار الرياض وبلفور في رمضان سنة ١٤٠١ هـ .

ب ـ الخرائط والمخططات وتم الحصول على الأولى من وكالة وزارة الشؤون البلدية والقروية لتخطيط المدن ، وتغطي منطقة حريملاء أربع لوحات بمقاييس ١ : ٢٥٠٠ معدة عن صور جوية التقطت سنة ١٩٧٦ م . أما المخططات فحصل عليها من بلدية حريملاء وهي تشمل جميع مخططات الحزم (سبعة مخططات) ومخططات تحيط بالبلدة القديمة خاصة في الشمال فضلاً عن مخططات تعديل أجزاء بالبلدة القديمة .

جـ ـ الدراسة الميدانية : أجريت الدراسة الميدانية للعمران في حريملاء من خلال الجهد المشترك لمجموعة دراسة العمران المؤلفة من د. محمد حجازي ، د. محمد بهجت ، والباحث ، من قسم الجغرافيا بكلية العلوم الاجتماعية بالرياض ، في الفترة من ربيع أول ١٤٠٣ هـ (ديسمبر ١٩٨٢ م) إلى جمادى الثاني ١٤٠٣ هـ (ابريل ١٩٨٣ م) وقد أمكن عن طريق الدراسة الميدانية :

١ ـ التحقق من الآثار العمرانية والشواهد الحضارية لحريملاء وأهمها بقايا الأسوار والقلاع والبوابات .

٢ ـ اللقاء مع الثقات من أهل الخبرة في حريملاء ومنهم (الشيخ ناصر ـ عبدالله بن قضيب ـ عبدالرحمن المشعل) وإمكان وضع أول خريطة تفصيلية لأحياء البلد القديمة .

٣ ـ المسح التفصيلي لأحوال المساكن والمباني بحريملاء واعتبار ذلك أحد مؤشرات أعمار المباني وفترة إنشائها .

٤ ـ توقيع التوسع العمراني الحديث على الخريطة في البلد القديمة وإنشاء أول خريطة لتوزيع وحدود العمران القائم وتحت الإنشاء في مخططات منطقة الحزم .

٥ ـ حصر وتسجيل عمليات الإحلال والتجديد في البلد القديمة ومحاولة استكمال حلقات التطور العمراني من خلال ذلك .

ونعالج فيما يلي العناصر السابقة للموضوع .

أولاً : الصورة التوزيعية العامة لعمران حريملاء :

يمكن تحديد النطاق المعمور في حريملاء بالمساحات التي تشغلها مساكن المدينة ومبانيها ، القائم منها وفي دور الإنشاء بمرافقها المختلفة المبينة والمكشوفة وكذلك بمساحة الأراضي المستخدمة استخداماً اقتصادياً مرتبطاً بوظيفة عمران ونشاط سكان المدينة .

شكـل رقـم (١)

وبناء على ما سبق فإن النطاق المعمور في حريملاء يشغل مساحة ٧,٦٨٢,٥٠٠ متراً مربعاً[١] ، أي أنها تمثل ١,٧٦٪ فقط من جملة مساحة منطقة حريملاء الطبيعية (٤٣٥ كم٢)[٢] والتي تمتد فيما بين خطي عرض ٥٧ً ٢٤° ، ١١ً ٢٥° شمالاً ، وفيما بين خطي طول ٥٥ً ٤٥° ، ٩ً ٤٦° شرقاً ، ويكاد المعمور أن يتركز في الشمال الشرقي للمنطقة الطبيعية حيث ملتقى مجموعات الأودية التي تنصرف إليها مياه حوض حريملاء الطبيعي (خريطة رقم ١) .

ولا يتخذ النطاق المعمور شكلاً مساحياً منتظماً بل تظهر له أطراف وامتدادات في معظم الاتجاهات ، وبشكل عام يمكن تصور امتداد المعمور في محور شمالي شرقي جنوبي غربي شبه متصل ، وإذا ضرب عليه شكل هندسي يساير الإحداثيات الفلكية يصبح الامتداد الشمالي الجنوبي للمعمور في مسافة ٣,٣٧٥ كم ، والامتداد الشرقي الغربي في مسافة ٤,٢٥ كم . وتتوزع مساحة المعمور على نوعين رئيسيين من الاستخدام :

أ ـ **أراضي المزارع** : ويمارس فيها النشاط الزراعي بالمدينة وتبلغ مساحتها ٦,٩٣٢,٥٠٠ متراً مربعاً ، أي نحو ٩٠,٢٪ من جملة المعمور ، ويمكن أن نميز فيها بين المزارع القديمة التي يغلب عليها زراعة النخيل وتقع في الوسط وتبلغ مساحتها نحو ٣,٠٠٠,٠٠٠ متراً مربعاً (٣٩٪ من المعمور) ثم المزارع الحديثة للمحاصيل الحقلية والمشروعات الإنتاجية الزراعية وتقع على الهوامش وتمثل ٥١,٢٪ من المعمور إذا أضيف إليها مساحات مجاري الأودية الرئيسية المتخللة لنطاق المعمور .

ب ـ **الأراضي المبنية** : وهي محور الاهتمام في دراسة العمران وتبلغ مساحتها ٧٥٠,٠٠٠ متراً مربعاً أي ٩,٨٪ من جملة معمور حريملاء .

ومن خريطة توزيع العمران (شكل ١) يتضح أن المعمور المبني ينقسم حسب نمط التواجد إلى نوعين : عمران كتلي متجمع ـ عمران مساكن منفردة وتجمعات صغيرة .

١ ـ **العمران الكتلي المتجمع** : وهو المظهر العمراني الغالب والمعبر عن مدينة حريملاء أساساً إذ يشغل نحو ٦٧٠,٦٠٥ متراً مربعاً (٨٩,٤٪ من العمران أو المعمور المبني) ، ويقع العمران المتجمع في كتلتين كتلة قديمة ، وكتلة حديثة .

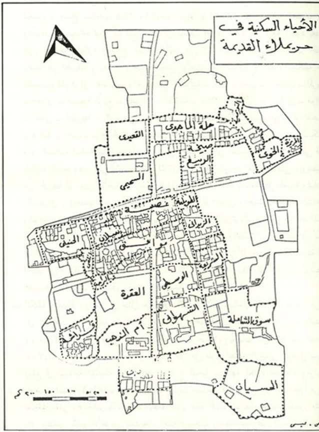
الأحياء السكنية في
حريملاء القديمة
حلة الماجدي
القعيدي
صبيحة
الربيع
الخوى
السحيمي
الحنيفي
موافق
الزبراني
الوسطى
العقرة
الشهواني
أم الذهب
سوق الشاملة
الحسيان
كم

شكل رقم (٢)

ـ **الكتلة القديمة** : وهي حريملاء القديمة وتكاد تتوسط نطاق المزارع القديمة في شمال وسط المعمور ، وتبلغ مساحتها ٢٢٥,٦٨٨ متراً مربعاً (٣٠,١٪ من مساحة العمران) . والكتلة شبه مندمجة يمكن أن تستوعبها دائرة نصف قطرها ٤٠٠ متر ، مع وجود بعض المزارع داخل الدائرة ويتوزع عمران الكتلة على ٢٢ حياً سكنياً(٥) في الوقت الحالي تتضح من الخريطة (رقم ٢) يحيطها بعض الأحياء غير السكنية والأحياء السكنية من الشمال والشرق إلى الجنوب ، والغرب هي : التويمية ـ حلة الماجدي ـ القعيدي ـ المريزة ـ الخوى ـ صبيخة الربيع ـ الطويلعة ـ غصيبة ـ نميلان ـ الحنيني ـ الزيداني ـ موافق ـ الملقى ـ الشريعة ـ الوسيطى ـ العقدة ـ سوق المشاعلة ـ الشهواني ـ أم الذهب ـ قراشة ـ الحسيان ـ أم الخوابي . وتختلف هذه الأحياء في مساحتها وأعداد المباني السكنية وغير السكنية القائمة بها (جدول ١) ومن الحصر الميداني اتضح وجود ٣٦٧ مبنى قائم بالكتلة القديمة وهذا يعني أن متوسط عدد المباني في الحي الواحد نحو ١٦ مبنى ، ويتضح من الخريطة أن بعض الأحياء السابقة تتخللها مساحات فضاء واسعة مثل العقدة ونميلان والشهواني ، وبعضها يتضمن مزارع مثل الحنيني وأم الخوابي والحسيان وسوق الشاعلة والتويمية والخوى والمريزة ، والبعض أزيل بعض مساكنها لشق وتوسيع الشارع العام الذي يقطعها من الشمال إلى الجنوب مثل حي غصيبة وموافق والعقدة (بدأ الشق في سنة ١٣٨٧ هـ ، والتوسع في سنة ١٣٩٢ هـ) . والجدير بالذكر أن بعض المباني الحديثة قد قامت على مسافة تتراوح بين ١٠٠ – ١٥٠ متر من الكتلة المجمعة مثل المدرسة المتوسطة الجديدة في الشرق والفندق الجديد في الشمال .

ـ **الكتلة الجديدة** : وتتمثل في مباني حي الحزم القائمة وتبلغ مساحتها ٤٤٤٩١٧ متراً مربعاً أي ٥٩,٣٪ من مساحة عمران حريملاء الحالي ونحو ضعف مساحة عمران البلد القديمة وتوجد كتلة الحزم في أقصى جنوب غرب معمور حريملاء ويفصلها عن كتلة البلد القديمة ١,٣٥٠ كم على خط مستقيم ونحو ١٥٠٠ متر على طول الطريق الرئيسي الموصل بينهما ويقع في المساحة الفاصلة بين الكتلتين مزارع النخيل ـ جهة الكتلة القديمة ، ومزارع المحاصيل المهجورة مؤقتاً ـ جهة الحزم ، وبينهما مساحة تقترب من ٦٥ ألف متراً مربعاً تشغلها مقابر ، والجدير بالذكر أن منطقة المقابر هذه كانت تقع على هامش المعمور مثلها مثل منطقتي المقابر الأخريين للمدينة ، لكنها أصبحت واسطة عقد لمحور السكن البشري بحريملاء ، طرفاه للأحياء ومرتكزة للأموات .

جـدول رقـم (١)
العمـران في الأحيـاء السكنيـة في حريملاء القديمـة(*)

م	اسم الحـي	المساحة/متر٢	عدد المباني الحالية	مباني مزالة	مباني مزالة للشوارع	العدد الأصلي
١	التويميـة	٨٣٧٥	٧٧	–	–	٧٧
٢	حلـة الماجدي	١٥٦٢٥	٣١	–	–	٣١
٣	العقيـدي	١٠٩٣٧,٥	١	–	–	١
٤	المريـزة	٢٥٠٠	٥	–	–	٥
٥	الخـوى	٤٠٦٢,٥	٣	–	–	٣
٦	صبيخة الربيع	١٣١٢٥	٤٢	–	–	٤٢
٧	الطويلعـة	٢٨١٢,٥	٧	–	–	٧
٨	غصيبـة	١٣٤٣٧,٥	٤٣	٢	٥	٥٠
٩	نميـلان	٤٦٨٧,٥	١٥	١	–	١٦
١٠	الحنيـني	١٠٣١٢,٥	٢٥	–	–	٢٥
١١	الزيـداني	٨١٢٥	١٢	٣	–	١٥
١٢	مـوافـق	٢٢٥٠٠	٥٢	–	٧	٥٩
١٣	الملقـى	٢١٨٧,٥	٥	–	–	٥
١٤	الشريعـة	١٠٩٣٧,٥	١٧	٣	–	٢٠
١٥	الوسيـطى	١٠٧٥٠	١٠	٧	–	١٧
١٦	العقدة (والبراحة)	٢١٨١٢,٥	١٣	٣٠	٥	٤٨
١٧	سوق المشاعلة	٩٠٦٢,٥	١٥	–	–	١٥
١٨	الشهـواني	٢٠٩٣٧,٥	٢٤	–	–	٢٤
١٩	أم الـذهـب	١٣٠٠٠	١	–	–	١
٢٠	قـراشـة	١٠٣٧٥	١٤	–	–	١٤
٢١	الحسيـان	١٢١٨٧,٥	٥	٣٥	–	٤٠
٢٢	أم الخـوابي	١٠٨١٢,٥	٢٠	–	–	٢٠
	الجمـلة	٢٣٨٥٦٢,٥	٣٦٧	٨١	١٧	٤٦٥

ويقوم العمران الحالي في الكتلة الجديدة بصفة أساسية على ثلاثة من المخططات السبعة التي وضعتها البلدية للتوسع العمراني منذ سنة ١٣٩٧ هـ وهي مخطط ٣٩٨ ، ٣١٠ ، ٣١٩ . ويلاحظ من الخريطة أنها تشغل الجزء الشرقي والأوسط من منطقة الحزم ، وهي أقرب المخططات إلى البلد القديمة ، ولم يغط العمران القائم حالياً سوى ٢٦,٥٪ من جملة مساحة المخططات الثلاثة (١,٦٨٢,٥٠٠ متر٢) . وأكبر المخططات إشغالاً المخطط ٣١٠ (٣٣,٦٪ من مساحته مبنى) يليه مخطط ٣٩٨ (٣٠٪) ثم مخطط ٢١٩ (١٦٪) . والملاحظ عموماً أن القطع المبنية في المخططات متجاورة إلى حد كبير . ويبلغ عدد المباني القائمة حالياً بالحزم ٣٢٦ مبنى تمثل ٢٧٪ من العدد المخطط له في المخططات الثلاثة ، هذا فضلاً عن ثلاثة مباني قائمة في المخطط رقم ٣٧٠ من بين ٤٤٦ مبنى متوقعاً . والجدير بالذكر أن ٧٧,٥٪ من جملة مباني منطقة الحزم تقوم على المخطط رقم ٣١٠ .

٢ ـ عمران المساكن المنفردة والكتل الصغيرة :

ويحتل مساحة نحو ٧٩٣٩٥ متراً مربعاً ، أي ١٠,٦٪ من مساحة المعمور المبنى ويقوم عليها ١٥٥ مبنى من مساكن المزارع .

وإذا أخذنا من كتلة العمران القديم بؤرة للمنظور التوزيعي لعمران المزارع يمكن تسجيل ملاحظتين أساسيتين :

ـ يتوزع نحو ٨٠٪ من عمران المزارع إلى الجنوب وإلى الشرق من الكتلة القديمة بحكم الامتداد الواسع للمزارع في الاتجاهين ، ويحظى الجنوب بنحو ١/٢ العمران تقريبا (٧٥) مسكن ، والشرق بنحو ١/٣ العمران (٥١ مبنى) هذا بينما يقع في المزارع الغربية ٢١ مبنى وفي الشمالية ٨ مباني .

ـ تختلف مساكن المزارع في نمط تجمعها بين مسكن منفرد وبين تجمع صغير ، ويختلف نمط توزيع هذين الشكلين حسب البعد من عمران البلد القديمة وتتضح هذه الملاحظة إذا طبقنا على مساحة عمران المزارع ثلاث دوائر متتالية مركزها نقطة متوسطة بأقدم أحياء البلد القديمة وأنصاف أقطارها (نصف ، واحد ، واحد ونصف) (خريطة رقم ٣) فسوف تظهر لدينا أربعة نطاقات أو مجالات مساحية متتالية حول المدينة القديمة

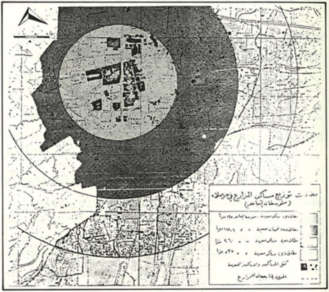

شكـل رقـم (٣)

(أ ، ب ، جـ ، د) يتباين فيها توزيع عمران المزارع من حيث العدد ومدى التجمع ومتوسط التباعد(*) وذلك على النحو التالي :

النطاق (أ) : ومساحة المزارع فيه ٥٦٠٠٢٦ متراً مربعاً ، وعدد المساكن ١٧ مسكناً معظمها مساكن منفردة ، ومتوسط التباعد ١٩٥ متراً ، ويحيط النطاق بالكتلة القديمة .

النطاق (ب) : مساحته المعمورة ٢,٠٧٧,١٤٣ متراً ويقوم به ١١٨ مسكناً أي ٧٦٪ من عمران المزارع ومعظمها تجمعات صغيرة متوسط عددها ٥ مباني ومن أكبرها منطقة سوق المهيزي (١٢ مبنى) في الشرق ، ومزرعة ابن قضيب في الغرب (٧ مباني)

ومزارع الباتل ، العطاس ، الناصر ، العمار (٦ مباني في كل منها) . ومتوسط التباعد في هذا النطاق ١٤٢,٦ متراً ، ويتفق النطاق مع مزارع النخيل .

النطاق (جـ) : ومساحة مزارعه نحو ١,٠٠٠,٠٠٠ متر^2 ، ويقوم به ١٧ مبنى غالبيتها مساكن منفردة ومتوسط التباعد فيه ٢٦٠ متراً ، ومعظم مزارعه للمحاصيل الحقلية .

النطاق (د) : وتقع مزارعه في أقصى شرق وجنوب المعمور ومساحتها نحو ٧٥٠,٠٠٠ متر^2 ولا يقوم بها سوى ٣ مباني منفردة ، وبالتالي فمتوسط التباعد ٥٣٧ متراً .

الخلاصة أن النطاق ب والذي يقع على مسافة تتراوح بين ١/٢ - ١ كم عن مركز البلد القديمة وأكثر قليلاً من نصف كم عن أطرافها هو النطاق الرئيسي لمساكن المزارع ، ويقل التوزيع حجماً وكثافة خارجه وداخله .

ثانياً : عوامل نشأة وتطور العمران بحريملاء :

يرتبط قيام العمران في منطقة ما بعدة عوامل من أهمها : ١ ـ توافر إمكانات إعالة السكان غذائياً ، وهذا يعتمد أساساً على وجود المياه ومقومات الإنتاج الاقتصادي . ٢ ـ توافر عنصر الأمن من الخطر المحلي والخارجي ، وقدرة السكان على ذلك . كما يرتبط تطور العمران أساسا بما يطرأ على العاملين السابقين من تغير قد يعزى إلى أسباب طبيعية أو سكانية أو اقتصادية أو سياسية ... الخ .

ويمكن أن نميز ثلاث مجموعات من العوامل التي أثرت وتؤثر على نشأة وتطور العمران بمدينة حريملاء وإن اختلفت درجة تأثير كل منها في الماضي والحاضر ، وهي :

أ ـ عوامل الموضع : وأكثرها أهمية ثلاثة :

١ ـ توافـر الميـاه :

توجد ثلاثة موارد للمياه بمنطقة حريملاء هي :[1]

ـ جريان الأودية الجافة التي تستمد ماءها من الأمطار السيلية الشتوية أساساً ، وتخرج الأودية من نطاق المرتفعات المحيطة بالمنطقة وتتقارب مجاريها حول وخلال النطاق المعمور لتتجمع في وادي أبي قتادة ، (خريطة ١) ونظراً لقصر فترة جريان الأودية ـ مع غزارته ـ

فإن الاستفادة المباشرة من مياهها محدودة ، اللهم إلا إذا ظهرت وسيلة لتخزين المياه بإقامة العوائق أو السدود .

— المياه تحت السطحية ، وهي المختزنة من مياه الأمطار والأودية في طبقات الحصى والحصباء والرمال ، ويتوقف توافرها على سمك ونوعية الصخور وكذلك منسوب السطح وعلاقته بمجاري الأودية كما تتأثر كمياتها بحجم وفصل سقوط المطر وتستخرج المياه تحت السطحية بواسطة حفر آبار بأعماق تتراوح بين ٤٠ – ٤٥ متراً ، وقد أحصى الباحث ٧٩ بئراً في المنطقة المعمورة حاليا في حريملاء[1] ويلاحظ أنها تتركز في المعمور المزروع ، بل ويقترن ٣٤ بئراً بمساكن المزارع على حين لا تظهر الآبار داخل كتل العمران المتجمع سواء القديم أو الجديد وإن ظهر عدد محدود على أطراف المدينة القديمة ، وتعد الآبار السابقة المصدر الرئيسي لمياه الزراعة وكانت كذلك لمياه الشرب حتى أدخلت المياه الحكومية إلى المدينة منذ سنة ١٣٩٣ هـ ، وعلى ذلك فقد تغير عدد الآبار مع التطور العمراني والاقتصادي للمدينة في مراحله المختلفة .

— المياه الجوفية العميقة : ولم يبدأ حفر الآبار للحصول عليها إلا في سنة ١٣٨٩ هـ ، وهي تستخدم حالياً للشرب فقط حيث تعتمد المدينة القديمة أساساً على بئرين مهمين إحداهما خاص ، ونوعية مياهها معقولة لكن كميتها محدودة ، والثانية تابعة للبلدية ومياهها كافية لكنها تميل إلى الملوحة .[2] وقد حفرت بئر جديدة لتغذية شبكة المياه في الحزم ضمن خطة لإقامة سبع محطات طلمبات مياه جوفية لكل من الحزم والمدينة القديمة .

٢ ــ توفر التربـة الزراعيـة :

تتميز تربة منطقة حريملاء بأن معظمها رسوبية منقولة بواسطة مياه الأودية وهي عموماً تصلح للزراعة مع توافر المياه ويمكن أن نميز منها عدة أنواع :[3]

— تربة الروضات أو مناطق الشجيرات الطبيعية وهي غنية بالدبال ومرتفعة الإنتاجية والزراعة فيها بعلية وهي أرض مشاعة لجميع سكان المدينة .
— تربة السهول وهي نوعان : تربة سهول فيضية رسوبية في مناطق ملتقيات الأودية والمصاطب الفيضية وهي تربة خصبة تشكل حالياً أراضي مزارع النخيل القديمة ومعظم

مزارع المحاصيل الحديثة ، والنوع الثاني تربة السهول التحاتية وهي تربة محلية مشتقة من صخر منطقتها وتغطي أراضي منطقة الحزم لكنها ضعيفة الاحتفاظ بالمياه قليلة الخصوبة .

— تربة سرير الوادي المتكونة في مجاري الأودية وهي فقيرة الدبال ، ملحية ، ناقصة المقطع ، قليلة الخصوبة ، ويمكن زراعتها في فترات الجفاف بإضافة الغرين والمخصبات .

— تربة سفوح المرتفعات وهي قليلة السمك ، قليلة الخصوبة ، ضعيفة الإنتاجية .

٣ — مناسيب الأرض :

هناك ثلاثة خطوط كنتور رئيسية لها أهميتها الخاصة بالنسبة لعمران حريملاء هي :

— خط كنتور ٧٧٠ متراً فوق سطح البحر ، ويمثل نقطة الانتقال من المرتفعات المحيطة إلى السهول الوسيطة ، أو هي في الغالب نقط مخارج الأودية من أقدام المرتفعات .

— خط كنتور ٧٥٠ متراً ، ويمر في أقصى شرق معمور حريملاء حيث تصل مياه الأودية المتعددة بعد التئامها في وادي واحد هو أبوقتادة ، وفيما بين هذين الخطين تنحدر الأرض عموماً نحو الشرق ، وتفصيلاً مع اتجاه جريان الأودية ، ويبلغ معدل الإنحدار بين الخطين من الغرب إلى الشرق ١ : ٢٢٠ تقريباً .

— خط كنتور ٧٦٠ متراً ، ويكاد أن يحدد المعمور المزروع من الغرب كما يفصل بين المدينة القديمة ومساكن المزارع من جانب ، وبين المدينة الجديدة من جانب آخر .

وفضلاً عن ذلك يمكن تسجيل الملاحظات التالية :

— الأراضي الواقعة فيما بين الأودية أو عند مقارنها ، أعلى منسوباً من غيرها ، وتظهر على هيئة مصاطب فيضية كانت بقعاً مناسبة لقيام العمران فوقها . وتقوم المدينة القديمة في منطقة اقتران أودية الشعبة والشريج الأيمن وأبو قتادة .

— يميل العمران المتكتل إلى احتلال الأجزاء الأعلى منسوباً فالمدينة القديمة تحتل أعلى المناسيب في غرب المعمور المزروع والحزم الجديدة تقع إلى الغرب منها على منسوب أعلى من ٧٦٠ متراً .

وواضح من العرض السابق أن عوامل الموضع قد ساهمت في اختيار مناطق السكنى الأولى وكذلك مناطق التوسع العمراني اللاحق .

ب) **عوامل الموقع** : وأكثرها أهمية ثلاثة أيضاً :

١ ــ مجاورة حريملاء كواحة زراعية لمناطق رعوية ولبعض الواحات الفقيرة مثل القرينة (٣ كم) وسدوسي وملهم (٢٠ كم من كل) . ونظرا للغنى النباتي والزراعي النسبي في حريملاء أصبحت هدفاً لاغارات البدو خاصة في فترات الجفاف ، وكذلك قام النزاع المستمر بينها وبين الواحات المجاورة وأغار أهل حريملاء عليها في سنوات متعددة[١] بهدف السيطرة

٢ ــ الاقتراب من العيينة والدرعية

الواقعتين إلى جنوبها الشرقي بمسافة ٣٥كم[٢] ، ٦٠ كم على الترتيب ، وترتبط المدينتان بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وبتأسيس الدولة السعودية وانعكست آثارها على حريملاء فيما تعرضت له من غزوات وما أقيم فيها من قلاع وحصون وأسوار حول العمران ومن قبل الوهابية غزا صاحب العيينة ومعه صاحب الدرعية حريملاء في سنة ١٠٩٦ هـ ، كما غزاها مرة ثانية سنة ١٠٩٨ هـ . لاحتلالها[١] وكرر غزوها مرتين أخريين في سنة ١١٢٣ ، ١١٢٨ هـ .[٢] وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد انتقل مع والده من العيينة (مولده) إلى حريملاء سنة ١١٣٩ ، وبدأ منها دعوته التي لم تلق فيها قبولاً واسعاً ، فغادرها الشيخ إلى العيينة بعد وفاة والده سنة ١١٥٣[٣] ، ثم إلى الدرعية حيث آزره أميرها محمد بن سعود في نشر الدعوة ، ودخلت حريملاء منذ سنة ١١٥٨ تحت ولاية الدرعية وشاركت في نشر الدعوة وتكوين الدولة وما ارتبط بها من حروب . وحينما سقطت الدرعية على يد إبراهيم باشا خضعت له حريملاء سلماً سنة ١٢٣٣ هـ .[٤]

المهم أن العاملين السابقين قد ساهما في اختلال الأمن والاستقرار مما دعا السكان إلى تحصين مساكنهم ومزارعهم بالأسوار درعاً للغزو والهجوم المتوقع ، بل لجأ السكان في بعض الفترات إلى هجر المساكن المنفردة والتجمع في أحياء سكنية محصنة ومسورة .

٣ ــ الاقتراب من الرياض :

تقع مدينة حريملاء على نحو ٩٠ كم شمال غرب الرياض ويصلها طريق جيد مرصوف ، وكان لهذا الاقتراب من عاصمة الدولة أثران متناقضان على تطور عمران حريملاء . الأول سلبي يحدد النمو العمراني والوظيفي ، حيث اشتدت هجرة أهل حريملاء إلى العاصمة ،

كما أصبحت الرياض المركز التجاري والخدمي المباشر لأهل حريملاء التي تضاءل قدرها التجاري والخدمي تبعاً لذلك . أما الأثر الإيجابي المشجع للنمو فيتمثل في التأثير الحضاري الذي انتقل من العاصمة إلى أهل حريملاء فضلاً عن اهتمام العاصمة بحريملاء كأحد متنفساتها الخلوية وكمصدر قريب للمنتجات الغذائية الزراعية .

جـ)عوامل مرتبطة بخطط التنمية في المملكة :

أخذت المملكة بسياسة الخطط الإنمائية الخمسية منذ سنة ١٣٩٠ (١٩٧٠) حيث بدأت الخطة الأولى والتي انتهت سنة ١٣٩٥ ، ونفذت الخطة الثانية من سنة ١٣٩٥ حتى ١٤٠٠ ، وكانت ميزانية هذه الخطة نحو ١٢ ضعفاً لميزانية الخطة الأولى نتيجة لارتفاع عائدات البترول خلال سني الخطة ،[1] وتنفذ الآن سني الخطة الخمسية الثالثة (١٤٠٠ – ١٤٠٥) . وتعد سياسات التنمية هذه المسؤولة أساساً عن التطور العمراني الشامل في كل المملكة في الفترة الأخيرة ، وقد ارتبط بهذه السياسة ثلاثة متغيرات أساسية أدت إلى النمو العمراني الطفري والضخم هي :

١ – ارتفاع دخول الأفراد نتيجة لسياسة التوظيف والتوسع في المشروعات الاستثمارية بدعم الدولة .

٢ – الدعم الحكومي للتوسع العمراني ، بمنح أراضي البناء ، وتيسير قروض صندوق التنمية العقارية .

٣ – قيام البلديات بإعداد وإنجاز مخططات التوسع العمراني وإنشاء المدن الجديدة ، وتزويد العمران القائم بالخدمات والمرافق الشبكية المتقدمة .

ثالثاً : مراحل واتجاهات النمو العمراني لحريملاء

تقوم الدراسة المتكاملة للنمو العمراني على تتبع التغير الحادث في كل المساحة المبنية ، وفي عدد المباني ، وأعداد السكان ، وهي العناصر الرئيسية الثلاثة للهيكل العمراني ، وذلك منذ فترة نشأة العمران حتى صورته الراهنة .

ولا تتوافر عن مدينة حريملاء بيانات موثوق بها يمكن أن تسعف الباحث لتتبع ذلك وعلى فترات زمنية محددة ، ولكن المتاح لا يتجاوز بعض الأرقام السكانية في تعداد ١٣٩٤ هـ

(١٩٧٤ م) ، وبعض التقديرات لمساحة المساكن وأعدادها وجملة سكانها في المدينة القديمة والمدينة الجديدة أوردها تقرير بلفور سابق الإشارة عن سنة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

ومع ذلك فهناك بعض القرائن أو الشواهد التي تعين على تمييز مراحل عامة للنمو العمراني أهمها :

١ ــ **الأسوار**[١] : وقد بنيت ــ كما ذكر ــ لتوفير الحماية لسكان المدينة في مساكنهم أو في مزارعهم ، وتتابعت على حريملاء خمسة أسوار تختلف في الزمان والمكان فهي من أقدمها إلى أحدثها : (خريطة رقم ٤) .

- سور أبو ريشة ، وأقيم في نهاية القرن التاسع الهجري .
- سور الحسيان بني في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري .
- سور العقدة ، بني في أوائل القرن الثاني عشر الهجرية .
- سور البلد (الجماعة) في أوائل النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري .
- سور ابن قاسم ، بني فيما بين سنة ١٢٢٨ - ١٢٣٢ هـ .

أما من حيث المكان فيلاحظ توزع الأسوار في إطارات متتابعة ، ولا يعني هذا اتفاق التتابع التاريخي والمكاني ، فأقدم الأسوار يحيط بثلاثة أسوار أحدث منه ، بينما يعد أوسع الأسوار (الخارجي) أحدثها . وترتب على هذا اختلاف الأسوار حسب استخدام الأرض التي أحاطت بها أو تحيطها بحيث يمكن أن نميزها إلى نوعين :

- أسوار أحاطت بالعمران المبني ، وتشمل سور الحسيان في الجنوب ، والعقدة في الوسط .
- أسوار أحاطت بالمزارع والكتلة المبنية ، وتشمل أسوار أبو ريشة والبلد وابن قاسم .

ويتضح من هذا أن الاعتماد على الأسوار وحدها لا يكفي في تصور كيفية تطور العمران .

٢ ــ **فترات تعمير الأحياء السكنية في البلد القديمة** : وقد أمكن تحديد الفترات التقريبية لتعمير هذه الأحياء بالاستعانة بالكتابات التاريخية ، ومراجعة الثقات من أهل حريملاء المعمرين ، فضلاً عن ملاحظات الحصر الميداني التفصيلي لحالات المباني في جميع أحياء المدينة القديمة . ومع أن تحديد فترات التعمير هي أحد محصلات الدراسة إلا أنه مؤشر رئيسي تمييز مراحل النمو العمراني .

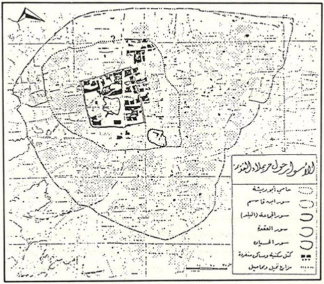

المصدر : المراجع التاريخية والتحقق الميداني — شكل رقم (٤)

ويتضح من الخريطة رقم (٥) أن ثلاثة أحياء قد عمرت فيما قبل منتصف القرن الحادي عشر الهجري وهي : الحسيان ـ العقدة والبراحة ، وقد أزيلت مبانيها القديمة وحل محلها عمران أحدث (المسجد الكبير وميدانه في العقدة والبراحة والمدرسة الابتدائية في الحسيان) فيما عدا الجزء الشمالي الشرقي من حي العقدة والذي لا يزال باقيا ، وإن كانت معظم مساكنه متهالكة ومهجورة .

ـ كما عمرت أربعة أحياء أخرى فيما بين منتصف القرن الحادي إلى منتصف الثاني عشر الهجري هي الملقى ونميلان والحنيني في شمال غرب حي العقدة الأقدم ، وحي قراسة في جنوبه الغربي .

شكل رقم (٥)

ـ وفيما بين منتصف القرن الثاني عشر الهجري وأوائل الرابع عشر عمرت خمسة أحياء، أربعة منها متصلة وتقع شرق العمران الأقدم وهي حي غصيبة ـ موافق ـ الشهواني ـ الوسيطى، وهو أحدثها والحي الخامس منفصل عنها وهو سوق المشاعلة في الجنوب الشرقي.

ـ وفي أواخر القرن الرابع عشر هجري عُمِّرت ستة أحياء تحيط بالعمران السابق من الشمال (الحلة ـ الصبيخة) والشرق (الطويلعة ـ الزيداني ـ الشريعة) والجنوب (أم الخوابي) . كما نشأت مباني حديثة في أحياء زراعية مجاورة للكتلة السابقة هي الإمارة في حي القعيدي في الشمال ومساكن التويمية والخوى والمريزة في الشمال الشرقي ، ومساكن سوق المشاعلة الحديثة والمدرسة المتوسطة الحديثة في الشرق . ومعهد المعلمات الثانوي (١٣٩٨ - ١٣٩٩ هـ) في مزرعة أم الذهب في الجنوب .

وواضح مما سبق أن ثمة اطراداً في نمو الأحياء السكنية خلال الفترات المتتابعة ، كما أن التوزيع المكاني للأحياء المتزامنة يتخذ أشباه أقواس تحيط بالعمران الأقدم مع استثناء في الجهة الغربية التي توقف نمو إحيائها عند منتصف القرن الثاني عشر الهجري .

ومن خلال الربط بين الصورة التوزيعية العامة للعمران الحالي ، والعوامل المؤثرة على نمو العمران بحريملاء ، واستناداً إلى القرينتين السابقتين يمكن تمييز **أربع مراحل للنمو** حسب طبيعة الامتداد العمراني وتوزيعه ومعدله وهي :

أ) مرحلة النشأة : (عمران مزارع مشتت)

ذكر البكري (متوفى سنة ٤٨٧ هـ) في كتابه معجم ما استعجم ، حرملاء (تصغيرها حريملاء) ، مما يدل على قدم وجودها ، ويستشهد البعض على ذلك أيضاً من ورود الاسم في بعض الأشعار الجاهلية ، ومن هنا يرى بعضهم أن حريملاء الحالية قد قامت على أطلال حريملاء المندثرة أو أنها قامت بالقرب من مكانها واستعارت اسمها لشهرته .[1]

وأول ما يرد عن تاريخ تعمير حريملاء الحالية تلك الرواية المتداولة حتى الآن ، والتي سجلها صالح الطعيسي في بحثه .[1] وهي تعزو بدء العمران الحالي إلى أحد رؤساء القبائل البدوية في الشام ويسمى يوسف أبو ريشة ، وهو نجدي الأصل ، قرر أن يعود إلى نجد مع رجاله بعد تزايد الاقتتال مع قبيلته وبحث عن مكان طيب الأرض ، صحي المناخ ، وفير المياه ، محمي بالجبال ، فلم يجده إلا في حريملاء ، ومكث سبع سنين يحفر الآبار ويشق القنوات ، ويشيد العمران كما بنى سوراً يحيط بالمنطقة التي عمرها لحمايتها من غارات البدو وتم كل هذا في العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر ، ونتيجة لبعض الظروف السياسية بالشام عاد أبو ريشة ومعظم رجاله إليها في سنة ٨٩٣ هـ .

وحسب هذه الرواية التي يرجحها الكثيرون ويؤكد جوهرها وجود بقايا سور (حامي) أبو ريشة يمكن استنتاج خصائص العمران في مرحلة النشأة .

فقد بلغ محيط السور (أبو ريشة) ٣٠٧٥ متراً ، والمساحة التي يحتويها ٦٤٩٣٧٥ متراً مربعاً ، وهو بذلك ثاني أكبر الأسوار محيطاً ومساحة (أكبرها سور ابن قاسم) رغم أنه أقدمها ، وتتركز مساحته في القطاع الغربي من المعمور الزراعي حاليا ، وهو أعلى منسوباً عن الشرق . وإذا وضعنا في الاعتبار اتساع المساحة المسورة بالنسبة لعدد السكان المصاحبين لابي ريشة ، فضلاً عن اعتماد الزراعة الممارسة على مياه الآبار ، يصح ترجيح أن العمران الأول كان عبارة عن عمران متفرق يقترن بحفر البئر ، مصدر مياه الشرب والري معا ، كما كان محدود الحجم ، عشوائي التوزيع .

ويبدو أن ظروف عمران هذه المرحلة قد استمرت بعد رحيل أبي ريشة حتى منتصف القرن الحادي عشر ، إذ دخلت حريملاء في إمارة العطيان ، ثم في إمارة عيينة إلى أن قدم آل أبي رباع من الوشم واشتروا حريملاء من رئيس العيينة سنة ١٠٤٥ هـ وواصلوا عمرانها .(٢)

ب) مرحلة العمـران المتجمع :

وتبدأ مع منتصف القرن الحادي عشر الهجري ، وكانت حريملاء قد بلغت شأواً كبيراً من التقدم الاقتصادي والعمراني على يد آل أبي رباع ومع ذلك اجتمع عليها خطران ، الأول خارجي وتمثل في إغارات البدو والبلاد المجاورة على حريملاء طمعاً في نهب خيراتها وضمها ، والثاني داخلي وتمثل في الخلافات والانقسامات بين سكان حريملاء نتيجة لانتقال السلطة والامارة فيما بينهم . وقد ترتب على الخطر الأول تزايد الرغبة في التجمع السكني والتخلي عن مساكن المزارع المبعثرة ، ومن ثم ظهرت الأحياء السكنية المسورة داخل مساحة سور أبي ريشة ، كما ترتب على الخطر الثاني تعدد الأحياء السكنية المسورة والمتولدة عن بعضها ، فمع نشوب الشقاق يخرج المنشقون عن الحي ويؤسسون حياً جديداً .

وقد شهدت هذه المرحلة بناء ثلاثة أسوار حول الأحياء السكنية داخل حامي أبي ريشة ، أقدمها سور الحسيان(*) (في النصف الثاني من القرن ١١ هـ) وبلغ طوله نحو ٤٣٧ متراً وأحاط بمساحة نحو ١٢١٨٨ متراً مربعاً ، وذلك في الركن الجنوبي الشرقي داخل حامي أبي ريشة ، وكان سور الحسان يحتضن عموم سكان حريملاء في فترة إنشائه(١) ، ثم انقسم السكان

إلى فئتين متناحرتين ، فانتقلت إحداها خارجه وسكنت في حي يتوسط نطاق حامي أبي ريشة ، وهو حي العقدة والبراحة ، وأنشأت حوله سوراً في أوائل القرن الثاني عشر الهجري عرف بسور العقدة ، الذي بلغ محيطه نحو ٤٦٢ متراً ، ومساحة حوزته نحو ١٢٣١٢ متراً مربعاً . ويبدو أن عملية توالد الأحياء السكنية الناجمة عن نمو السكان قد أسفرت عن ظهور أربعة أحياء في الشمالي الغربي ، والجنوب الغربي لحي العقدة ولكن بدون أسوار وهي الملقى وقراشة الذين ارتبطا بفترة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ففي الأول بنى داره سنة ١١٤٠ هـ ، وفي الثاني بنى مسجده ، والحيّان الآخران هما نميلان والحنيني .

وفي أوائل النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري اشتد الهجوم الخارجي على حريملاء ، فبنى رئيسها حمد المبارك سوراً أوسع يجمع السكان القاطنين داخل الأسوار السابقة وخارجها ويضم مساحة من المزارع تؤمن حاجة السكان من الغذاء في فترات أحكام الحصار على المدينة[1] وسمي بسور البلد أو الجماعة ويبلغ محيطه ١٥٥٠ متراً ، ومساحة حوزته ١٥٥٦٨٨ متراً مربعاً ويتضح من الخريطة أنه يحيط بسور العقدة ويتوسط حوز حامي أبي ريشة .

وقد ارتبط ببناء سور الجماعة هدم سور وحي الحسيان وإجبار ساكنيه على الانتقال إلى داخل السور الأول ، فنشأ عن ذلك حيان جديدان هما الشهواني في الجنوب وغصيبة في الشمال ، في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري .

والملاحظ أن مرحلة العمران المتجمع والتي استغرقت أكثر قليلاً من قرن من الزمان قد شهدت قيام تسعة أحياء سكنية مجمعة ـ بما فيها حي الحسيان ـ تمثل نحو ٤٠٪ من جملة أحياء المدينة القديمة حاليا ، كما تبلغ مساحاتها نحو ٨٦٥٩٨ متراً مربعاً أي ٣٨٪ من مساحة الأحياء السكنية ، وبُنِيَ فيها نحو ٢٢٢ مبنى تمثل نحو ٤٨٪ من جملة المباني الأصلية قبل الإزالة والهدم (٤٦٥ مبنى تقريباً) ، ويعكس اختلاف نسب المساحة والمساكن حالة التكدس والتلاصق البنائي الذي هو سمة الأحياء القديمة ومتطلبات الأمن فيها .

والملاحظ أيضاً أن النطاق المعمور في مرحلة العمران المتجمع تركز داخل سور أبي ريشة ، ولم يتجاوز النطاق المبني سور الجماعة في آخر مراحله .

جـ ـ مرحلة العمران المتجمع والمشتت :

يمكن أن نحدد بدايتها مع أواخر القرن الثاني عشر ، وتستمر حتى أواخر القرن الرابع عشر . وتتميز بأن النمو العمراني فيها قد اتخذ اتجاهين : اتجاهاً محدوداً نحو العمران المشتت في المزارع ـ مرة ثانية ، واتجاهاً مستمراً وقوياً نحو التجمع حول الكتلة القديمة .

فأما عن العودة إلى عمران المزارع فيلاحظ أنها اقترنت بحالة الاستقرار النسبي في حريملاء ، بعدما تحالفت مع الدرعية لنشر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأصبحت حريملاء توجه مقاتليها إلى الخارج أكثر مما تواجهه من غزوات ، بل أن الدرعية قد درأت عنها بعض المواجهات الحربية حتى بعد مجيء حملة إبراهيم باشا وسقوط الدرعية في سنة ١٢٣٣ هـ ، وأول ما ظهر من عمران المزارع في هذه المرحلة مساكن سوق المشاعلة خارج سور البلد من الجنوب الشرقي ، وذلك في أواخر القرن الثاني عشر الهجري ، ويبدو أنه قد تبعها ظهور بدايات التجمعات الصغرى لمساكن مزارع النخيل الحالية خاصة إلى الشرق وإلى الجنوب خارج سور أبو ريشة ، وترتب على ذلك اتساع المعمور وتناثر المساكن فيه ، وحينا داهمت حملة إبراهيم باشا نَجْد طلب أمير الدرعية الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد من واليه أمير حريملاء موسى بن قاسم بأن ينشئ سوراً لتحصين المدينة ، فبنى في الفترة من ١٢٢٨ - ١٢٣٢ ، ما عرف بسور ابن قاسم[1] حول المنطقة المعمورة سواء بالزراعة أو السكن ، وبلغ طول السور ٦١٧٥ متراً ، ويحيط بمساحة نحو ٢,٨٦٧,٥٨٥ متراً مربعاً ، ويلاحظ من الخريطة اتجاه النمو الجديد صوب الشرق والجنوب أكثر من الغرب والشمال .

وقد تزايد نمو مساكن المزارع في هذه المرحلة حتى أن ٧٢٪ من جملتها تتركز فيما بين سور أبي ريشة (حد المعمور في المرحلة السابقة) وسور ابن قاسم ، وفي الفترة الحديثة ، والتي تلاشى فيها أثر الأسوار ووظيفتها ، واصل امتداد العمران وسكن المزارع انتشاره فيما وراء سور ابن قاسم ، حيث يتوزع فيه حالياً ١٥,٥٪ من جملة مساكن المزارع بحريملاء .

وبالنسبة نمو السكن المتجمع يلاحظ أنه شمل منطقتين مختلفتين في المكان والزمان الأولى داخل سور الجماعة نتيجة لعملية النمو العمراني الطبيعي ، حيث عُمِّرَ حيان هما موافق في أواخر القرن الثالث عشر ، والوسيطى في أوائل القرن الرابع عشر ، وقد أضافا نحو ١٥٪ من مساحة الأحياء السكنية ، ونحو ١٦٪ من مساكنها . أما النطاق الثاني فيقع خارج سور الجماعة إلى

الشرق والشمال الشرقي والجنوب ، وقد بدأ تعميره منذ أواخر القرن الرابع عشر ، فالجدير بالذكر أن النمو العمراني ظل محصوراً داخل سور الجماعة حتى سنة ١٣٨٨[1] ثم انطلق بعدها بسرعة إلى خارجه ، فنشأت سبعة أحياء سكنية (الحلة ـ الصبيخة ـ الطويلعة ـ الزيداني ـ الشريعة ـ أم الخوابي) واقتطع حي التويمية السكني من مزرعته ، وظهرت كتل سكنية مجاورة للمدينة في حيي الخوى والمريزة ، كما انشئ مبنى الأمارة على مساحة حي القعيدي ، ولم يضف إلى العمران داخل سور الجماعة إلا مدرسة المعلمات الثانوية بنات بحي أم الذهب .

المهم أنه فيما بعد سنة ١٣٨٨ أسفر النمو عن تسعة أحياء جديدة تمثل مساحتها نحو ٤٥٪ من مساحة الكتلة القديمة ، وتضم نحو ٢٥٪ من مساكنها الأصلية (٣٠٪ من المساكن القائمة) هذا بالإضافة إلى أعداد المباني الحديثة بالمزارع المجاورة للكتلة القديمة ، والظاهرة الملفتة للنظر أن هذا النمو الضخم وقع في أقل من عشرين سنة ، وهو يعزى بالتأكيد إلى عوامل التنمية والتحول الاقتصادي الذي تشهده المملكة منذ أواخر القرن الماضي .

والخلاصة أن مرحلة العمران المتجمع والمشتت ـ رغم طولها النسبي (نحو قرنين) ، إلا أنها تعد مرحلة النمو الرئيسي في البلاد القديمة ، سواء على مستوى العمران المشتت ، (٨٥٪ منه) أو العمران المتجمع خاصة في الفترة الأخيرة .

د ـ مرحلة العمران المخطط :

وهي تتداخل زمنياً مع نهاية المرحلة السابقة ، لكنها تختلف عنها في مكان التوسع ، وأهم ما يميز هذه المرحلة أن التوسع أصبح يتبع مخططات أعدتها البلدية ، وفي مناطق جديدة ، بينا انكمش التوسع في الكتلة القديمة واقتصر البناء في الغالب على عمليات الإحلال والتجديد . وربما ترتبط بداية العمران المخطط بحريملاء بافتتاح بلديتها سنة ١٣٨٥ – ١٣٨٦ ، والتي بدأت في تنفيذ مشروعات تحسين الأوضاع العمرانية من شق شوارع ، وتوزيع مرافق ، ولكن الذي يعبر عن أثرها العمراني هو إعداد المخططات العمرانية والإشراف على تنفيذها . ويمكن تقسيم المخططات عموماً إلى نوعين :

١ ـــ مخططات لتعديل مناطق قديمة ، وأهمها مخطط رقم ٣٨٢ الذي أقر في أول شعبان سنة ١٤٠٠ لتعديل المنطقة المحيطة بالمسجد الجامع بالمدينة القديمة .

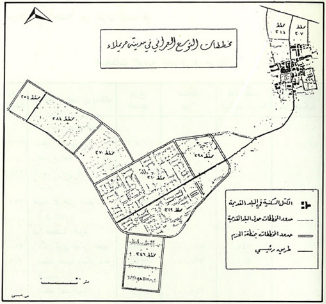

المصدر : مخططات بلدية حريملاء   شكل رقم (٦)

٢ ــ مخططات للتوسع العمراني ، وهي تتوزع على جزئين : (أنظر الخريطة ٦)

- مخططات حول المدينة القديمة .
- مخططات منطقة الحزم ، والجدول التالي[1] يبين أهم معالمها :

ومما يذكر أن مخططات التوسع شمالاً وشرق المدينة القديمة لم ينفذ منها شيء ، ويبدو أن تنفيذها قد أوقف حفاظاً على الأراضي المزروعة أو القابلة للزراعة التي خططت عليها ، بينما تركز تنفيذ المخططات على منطقة الحزم التي خططت كجناح جديد للمدينة يمكن أن يستوعب

النمو السكني والسكاني في المستقبل ، كما يوفر درجة أكبر من الخدمات العامة والحكومية لمدينة حريملاء جميعاً فضلاً عن القرى التابعة لها .

جـدول (رقم ٢)
مخـططات التوسع العمراني في حريملاء

رقم المخطط	استخدامه العمراني ومكانه	تاريخ إعداده	مساحته متر٢	عدد القطع السكنية المقترحة	عدد المباني غير السكنية
	أ) حول المدينة القديمة				
٣٠٧	تنظيم الأراضي شرق الشارع العام	١٣٩٧/٤	٨٤,٠٠٠	–	–
٣١٤	تقسيم الأراضي غرب الشارع العام	١٣٩٧/٤	٩٥,٠٠٠	–	–
٣٢٩	تخطيط الأراضي المملوكة شرق الشارع	١٣٩٧/١٢	٤٠,٠٠٠	–	–
	ب) منطقـة الحزم :				
٣١٠	سكن ذوي الدخل المحدود	١٣٩٧/٥	٧٨٠,٠٠٠	٧٤٤	١٤
٣١٩	منطقة خدمية وسكن دخل محـدود	١٣٩٧/٧	٦٦٠,٠٠٠	٤٥٢	١٠
٣٤٦	المنطقة الصناعيـة	١٤٠٠/١	٣٨٥,٠٠٠	–	–
٣٥٤	الأستـاد الرياضي	١٤٠٠/١	١٥٠,٠٠٠	–	–
٣٧٠	أراضي حكومية بيضاء للسكـن	١٤٠٠/٤	٣٩٠,٠٠٠	٤٤٦	٨
٣٨٤	» » » »	١٤٠٠/٨	٣٩٦,٩٠٠	٣٦٠	١٢
٣٩٨	منطقة الدوائر الحكومية والخدمـات	١٤٠٢/٥	٢٤٢,٥٠٠	–	–

وتقوم مخططات الحزم على مساحة تزيد عن ٣ كم٢ ، وأول ما بدىء عمرانه كانت المخططات السكنية (٣١٠ – ٣١٩) ثم أنشئت بعض المباني الخدمية على المخطط ٣٩٨ وتتمثل

في المعهد العلمي ومبنى البلدية الجديد ، والملاحظ أن العمران يتجه من الشرق إلى الغرب أي من جهة المدينة القديمة ـ أصل العمران .

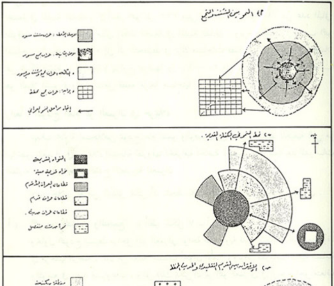

نماذج النمو العمراني لمدينة حريملاء   شكـل رقـم (٧)

وقد أسفر النمو العمراني في منطقة الحزم منذ بدئه (١٣٩٩ هـ) حتى وقت إعداد هذا البحث (رجب وشعبان سنة ١٤٠٣ هـ) عن مساحة نحو ٤٤٤,٩١٧ متراً مربعاً من العمران المبني ، تمثل نحو ١٥٪ من مساحة المخططات بالمنطقة ، ونحو ضعف مساحة الكتلة السكنية المجمعة في المدينة القديمة ، كما أسفر النمو عن ٣٢٦ مبنى حديث تمثل نحو ١٦٪ من عدد المباني المتوقعة ، ونحو ٨٩٪ من مباني الكتلة المجمعة في المدينة القديمة . ويرجع الفرق في نسب النمو المساحي والسكني في الحزم إلى أثر التخطيط في ترك مساحات فضاء ترويحية بين المباني فضلاً عن شبكة الشوارع الواسعة (يتراوح عرضها بين ١٠ - ٢٠ متر) كما أن نمط المسكن الغالب هو الفيلا المسورة والتي تشغل قطعة مربعة مساحتها ٤٠٠ متراً مربعاً في المتوسط .

رابعاً : النموذج العام لنمو العمران في حريملاء

تهدف محاولة استخلاص نموذج عام للنمو والوصول إلى تصور مبسط للكيفية التي مر بها تطور العمران في حريملاء استجابة لظروفها الجغرافية الخاصة ، وييسر هذا فيما بعد للدراسات المقارنة ، بهدف تعميم النماذج التطورية للعمران .

ومن خلال العرض السابق يمكن أن نلحظ ثلاثة أبعاد لنموذج حريملاء التطوري .

أ) النمو بين التشتت والتجمع : (أنظر شكل ٧ ـ أ)

ويحاول النموذج تبسيط مراحل النمو العمراني لواحة صحراوية قديمة شهدت تحولاً ملحوظاً في مرحلتها الراهنة ، كان من معالمه استتباب أحوال الأمن ، وتوافر مقومات التنمية الشاملة والتوسع في تنفيذ مشروعاتها . وعلى ذلك يمكن أن يمر النمو العمراني في أربع مراحل متعاقبة قد تختلف فتراتها حسب كل حالة ، وهي :

١ ـ مرحلة العمران المشتت المسور ، وهو قرينة نشأة العمران في الواحات الزراعية المعتمدة على مياه الآبار للشرب والزراعة ، وعادة ما تخدم البئر مزرعة ، ويقوم حولها سكن المزرعة ، والسور هنا يحيط بالمعمور المزروع للحماية من الخطر الخارجي .

٢ ـ مرحلة العمران المجمع المسور ، وتبدأ مع نمو السكان ، وازدهار الحياة الاقتصادية ، وظهور الضرورة للتنظيم والوحدة بين الجماعات القبلية لمواجهة الأخطار الخارجية ، وهنا ينتقل المستوطنون من سكن المزارع لإقامة أحياء سكنية مجمعة تعكس الأصل القبلي ،

وقد يكون بعضها مسوراً ، وقد يضرب سوراً آخر على الكتلة المبنية إمعاناً في الدفاع من وراء سورين .

٣ ـ مرحلة العمران المجمع والمشتت غير المسور ، فبعد أن يحقق التجمع السابق وظيفته في الحفاظ على كيان المجتمع ، ويستشعر المستوطنون أهميته لتوفير الخدمات المركزية ، يظهر النمو العمراني المتزايد حول الكتلة المجمعة ويتجاوز العمران السور القديم . ومع التقدم الاقتصادي والاستقرار الأمني والسياسي للمنطقة وما يحيط بها تتلاشى أهمية الأسوار ، وينطلق العمران خارجها إلى أقصى ما تستطيعه إمكانات السكان المحليين ، على هيئة عمران مشتت .

٤ ـ مرحلة العمران المخطط : وترتبط بالاستقرار السياسي والاقتصادي للدولة مركزياً وإقليمياً والتفات الحكومات إلى مشاكل العمران الراهن ومواجهتها بمشروعات التنمية المخططة لمدى بعيد ، كما يرتبط نجاح ذلك بتوافر الركيزة الاقتصادية القوية لتمويل التخطيط والتنمية . وفي هذه المرحلة قد يتناول التخطيط تعديلاً وتحسيناً في العمران القائم ، وقد ينصب على إنشاء أحياء ومدن سكنية جديدة كاملة المرافق ، منفصلة أو متصلة بالعمران القديم ، وقد يتناول لتخطيط العمليتين معاً ، وفي الحالتين تشهد المرحلة انتقال أعداد من المستوطنين لتعمير الأحياء المخططة .

ب) النمو في الكتلة القديمة للمدينة : (شكل ٧ – ب)

من الملاحظ في تطور المدن أنها تنمو ككرة الثلج ، بمعنى أن يكون لها نواة يتوالى النمو والتراكم العمراني حولها ، ولكن على عكس كرة الثلج قد يتخذ التراكم حول المدينة أشكالاً متعددة حسب الظروف الجغرافية الشاملة المؤثرة على العمران ، وحسب عدد المستويات التي نما حولها عمران المدينة فقد تكون المدينة وحيدة النواة أو يكون لها نواتان أو أكثر ، وبعض أشكال النمو العمراني منظمة مثل النمو الحلقي أو النمو القوسي أو النمو القطاعي ، وبعضها غير منتظمة أو عشوائية .

وفي حالة حريملاء يلاحظ أن الكتلة القديمة بدأت بنواتين ، أولاهما متطرفة (الحسيان) ، والثانية متوسطة (العقدة) . وقد تلاشت الأولى ولم تجذب حولها عمراناً ، بل حل مكانها عمران حديث في إطار النواة المتوسطة والتي نما حولها العمران طوال فترات التطور . ويبدو

النمو العمراني حول العقدة كما لو كان حلقياً أو شبه حلقي ، فالعمران الأحدث يحيط بالنواة من كل الجهات باستثناء ثغرة صغيرة في الغرب ، هذا مع إغفال مراحل النمو ، ولكن مع أخذها في الاعتبار يظهر النمو في نمط قوسي أو قطاعي ، فالقوس المحيط بالنواة من الغرب هو أقدمها ، يليه القوس الشرقي ثم تتوالى الأقواس أو القطاعات الأحدث جهة الشرق والشمال والجنوب ، ومع أن الغرب أعلى منسوباً من الجهات الأخرى وأصلح للنمو من حيث الموضع إلا أنه أبعد عن امتدادات المجال الزراعي للمدينة ، بعكس الجهات الأخرى التي أصبحت أصلح للنمو من حيث الموقع .

جـ) الاقتران بين العمران القديم والعمران المخطط : (شكل ٧ ـ جـ)

تمثل حريملاء نموذجاً للاقتران التكاملي ، وليس الانفصالي ، بين نطاق أصلي للعمران القديم ، ونطاق مخطط للعمران الجديد ، وبرغم المسافة الفاصلة بين الكتلتين القديمة والجديدة (١,٥ كم) إلا أن العمران المخطط لم يتخذ نمط المدينة المستقلة التي يتوسط قلبها التجاري والخدمي الكتلة المبنية ، وإنما اتخذ نمط الجناح الغربي الجديد لمدينة متكاملة ولذلك خصصت أطرافه الشرقية لتركيز الدوائر الحكومية والخدمات المركزية وهي القائمة حالياً في المدينة القديمة وذلك لكي تصبح أقرب ما تكون إلى الوضع المركزي بين الجناح السكني القديم في الشرق والجناح السكني الجديد في الغرب ، أما مساحات المرافق والأنشطة الجديدة (الأستاد الرياضي ، المنطقة الصناعية) فقد خططت على أطراف الجناح الغربي الجديد ■

• الهوامش •

(٥) من أمثلة ذلك دراسة عمر الفاروق رجب عن مدن الحجاز ، ودراسة محمد الحماد عن بعض المدن الكبيرة في سنة ١٤٠٣ هـ .

(١) حسب الباحث المساحات التالية بعد توقيع أحداث التطورات على الخرائط الطبوغرافية حتى منتصف سنة ١٤٠٣ هـ .

(٢) صالح بن ناصر الطعيسي ، جغرافية منطقة الشعيب ، مدينة حريملاء ، الجزء الأول ١٣٩٩ ص ٦٨ - ٧٠ .

(٥) تبلغ مساحة هذه الأحياء ٢٣٨٥٦٣ متر^2 ، ويضم بعضها مثل الحنيني وأم الذهب مساحات للمزارع .

(٥) الجدول من تجميع الباحث من خلال الخرائط التفصيلية ، والدراسة الميدانية وتحديد الأحياء وقياس مساحتها .

(٥) متوسط التباعد = ١,٠٧٤٦ $\frac{\text{المساحة}}{\text{عدد المساكن}}$

(٣) انظر الطعيسي ص ١٣٣-١٤٥ .
(٤) تم الحصر من واقع خريطة حريملاء مقياس ١:٢٥٠٠ المعدة عن الصور الجوية سنة ١٩٧٦ م .
(٥) المملكة العربية السعودية وزارة الشؤون البلدية والقروية ، تقرير لتقييم توزيع المياه في حريملاء . إعداد دار الرياض وبلفور . رمضان ١٤٠١ هـ - يوليو ١٩٨١ م . ص ٣-٤ .
(٦) انظر الطعيسي ص ١١٦-١٢٢ .
(٧) عبد الله بن محمد بن خميس ، المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية ، معجم اليمامة ، الجزء - طبعة أولى سنة ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م) ص ٣١٨ .
(٨) عثمان بن بشر النجدي ، عنوان المسجد في تاريخ نجد ، الجزء الأول ، طبعة الرياض ، ص ٨٤ ، ص ٨٨ .
(٩) عبد الله بن خميس ، المرجع السابق ص ٣١٨ .
(١٠) ابن بشر ، المرجع السابق ص ٨-٩ .
(١١) نفس المرجع ص ١٩٣ .
(١٢) عبد الكريم غعزال ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠-١٤٠١ هـ ، ص ٢٦١-٢٦٦ .
(١٣) تم متابعة الأسوار من خلال ما كتبه الطعيسي ص ١٨٥-٢٠٧ ، وأمكن تتبع بقاياها على الطبيعة مع بعض أهالي القرية ووقعت على الخرائط الدقيقة وحسب الباحث أطوالها والمساحات التي تحتويها .
(١٤) انظر عبد الله بن خميس ، المرجع السابق ص ٣١٧ .
(١٥) الطعيسي ، ص ١٤-٢١ .
(١٦) عبد الله بن خميس ص ٣١٧ .
(٥) الحسيان في اللغة جمع حسي ، وهي مناطق تجمع الماء ، وربما ارتبط موقع حي وسور الحسيان بذلك ، انظر المعجم الجغرافي لابن خميس ص ٣٢٣ .
(١٧) انظر الطعيسي ص ١٩٢ .
(١٨) انظر الطعيسي ، ص ١٦٥ .
(١٩) وصل الباحث إلى هذا الرقم من خلال تتبع عدد المساكن المزالة للمخططات والتوسع في الشوارع ، وافترض أن مباني حي الحسيان نحو ٤٠ مبنى ، وهو يقترب من مباني حي العقدة .
(٢٠) الطعيسي ، ص ٤٠ .
(٢١) الطعيسي ص ٢٠٠ ، والتأكد من خلال حالة المباني ورواية السكان .
(٢٢) استخلص الباحث أرقام هذا الجول من واقع المخططات ومن المسؤولين في بلدية حريملاء .